الترابط الدلالي بين بدايات السور والقصص القرآني فيها

الأستاذ المساعد الدكتور
مريم عبد الحسين التميمي
Mariam.altemimi@uokufa.edu.iq
الأستاذ الدكتور
حسن حميد الفياض
Hasanh.muhsin@uokufa.edu.iq
جامعة الكوفة ـ كلية التربية الأساسية

Semantic correlation between the beginnings of the suras and the Quranic stories in them

Assistant Professor Dr.
Maryam Abdul-Hussein Al-Tamimi
Professor Dr.
Hassan Hamid Al-Fayyad
University of Kufa - College of Basic Education

الملخص:-

للنص القرآني سمات خاصة، وميزات منفردة، وظواهر لا تجد لها نظيرا في أي نص آخر، هذا كله فيما إذا درسناه بعيدا عن صفته القدسية بوصفه نصا أدبيا عاليا، بل هو الغاية في الأداء الأدبي والبياني والفني.

ومن ميزاته التي يتناولها البحث كاشفا عنها تأثر قصصه في كل سورة بما تبدأ به تلك السورة، فتتوجه قصصه بناء على الجو النفسي الذي تتأطر به بداية السورة، ويظهر ذلك جليا في ما ترتسم به مشاهدها وتتشكل عليه صورها وتبنى أحداثها. فتكون القصص كاشفة عن آثار نعمة الله ورحمته بعباده إذا افتتحت السورة بالهدى والرحمة، أما إذا بدأت بالوعيد والتهديد فتأتي القصص مبينة لحال الأقوام المعاندين الرادين على أنبيائهم، وتختم كل قصة بطبيعة العذاب التي طال كل أمة نكلت عن نبيها.

وقد تناول البحث لتجلية هذه الظاهرة القرآنية سورتين جاءتا مترتبتين هما سورتا (الشعراء والنمل)، بدأت أولاهما بتسلية الله نبيه على عدم إيمان قومه، ثم جاءت القصص لتبين حال الأمم المعاندة وما صنع الله بها، أما السور الثانية فبدأت بالهدى والرحمة وترتبت قصصها في بيان رحمة الله للعالمين بإرسال الرسل وبعث الأنبياء، وذكرت أقواما اهتدوا على أيدي أنبيائهم.

إن هذه الظاهرة مزية امتاز بها النص القرآني وكان للبحث شرف الوقوف عندها وتجليتها.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، القصص القرآني، الترابط الدلالي، سورة الشعراء، سورة النمل، الأنبياء.

Abstract:-

The Qur'anic text has special features, individual features, and phenomena that do not find a counterpart in any other text. All this if we study it far from its sacred character as a highly literary text, rather it is the goal of literary, graphic and artistic performance. One of his features that the research deals with revealing about it is that his stories in each surah are affected by what that surah begins, so his stories are directed based on the psychological atmosphere in which the beginning of the surah is framed, and this is evident in what its scenes are shaped, its images are formed on it, and its events are built. The stories will reveal the effects of God's grace and mercy on his servants if the surah opens with guidance and mercy, but if it begins with warnings and threats, then the stories come out indicating the state of the people who reject their prophets, and each story concludes with the nature of the torment that afflicted every nation that abused its prophet. The research dealt with the manifestation of this Qur'anic phenomenon two surahs that came as a consequence, namely the two surahs (poets and ants), the first of which began with the amusement of God, His Prophet about the non-belief of his people, then the stories came to show the state of stubborn nations and what God did with them, and the second surah began with guidance and mercy, and its stories were arranged in a statement of mercy God is to the worlds by sending messengers and sending prophets, and I mentioned people who were converted by their prophets. This phenomenon is a characteristic of the Qur'an text and the research was privileged to stand up for it and manifest it.

Key words: The Noble Qur'an, Qur'anic stories, semantic interconnectedness, Surat Al-Shuara, Surat An-Naml, The Prophets.

المقدمة

للنص القرآني سمات خاصة، وميزات منفردة، وظواهر لا تجد لها نظيرا في أي نص آخر، ومن ميزاته التي يتناولها البحث كاشفا عنها تأثر قصصه في كل سورة بما تبدأ به تلك السورة، فتتوجه قصصه بناء على الجو النفسي الذي تتأطر به بداية السورة، ويظهر ذلك جليا في ما ترتسم به مشاهدها وتتشكل عليه صورها وتبنى أحداثها. فتكون القصص كاشفة عن آثار نعمة الله ورحمته بعباده إذا افتتحت السورة بالهدى والرحمة، أما إذا بدأت بالوعيد والتهديد فتأتي القصص مبينة لحال الأقوام المعاندين الرادين على أنبيائهم، وتختم كل قصة بطبيعة العذاب التي طال كل أمة نكلت عن نبيها.

وقد اختار البحث لتجلية هذه الظاهرة القرآنية سورتين جاءتا مترتبتين، هما: سورتا (الشعراء والنمل)؛ لما فيهما من وضوح لهذه الظاهرة تجعل منهما مثالا صالحا لما سواهما من السور، بدأت أولاهما بتسلية الله نبيه على عدم إيمان قومه، ثم جاءت القصص لتبين حال الأمم المعاندة وما صنع الله بها، أما السور الثانية فبدأت بالهدى والرحمة وترتبت قصصها في بيان رحمة الله للعالمين بإرسال الرسل وبعث الأنبياء، وذكرت أقواما اهتدوا على أيدي أنبيائهم.

التمهيد:

الترابط الدلالي لغة واصطلاحا

الربط في اللغة الشدّ[١]، ((والرِّباط: هو الشيء الذي يربط به، وجمعه: رُبُط))[٢]، وفي اللسان: ((يقال: ترَابَط الماءُ في مكان كذا وكذا إذا لم يبرحْه ولم يخرج منه فهو ماءٌ مُترابِطٌ أَي دائمٌ لا يَنْزَحُ))[٣]، والترابط تفاعل من الربط، ويأتي للمشاركة أو مطاوعة (فاعل)، وقد يأتي بمعنى الثلاثي[٤].

أما الدلالة فهي من ((دَلّه عليه دَلالة، ويثلث، ودُلولة فاندَلَّ: سدّده إليه))[٥]، وفي معجم مقاييس اللغة: ((الدال واللام أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلّمها))[٦].

أمّا في الاصطلاح فقد جاء هذا المصطلح إلى العربية عبر لسانيات النص ترجمة للمصطلح الانكليزي (CONNECTEDNESS)[٧]، وقد أطلق عليه بعض الباحثين

مصطلح (الحبك)، فيما استعمل آخرون (الانسجام) أو(الالتحام) بدلا منه[٨]، وينطلق هذا المصطلح ((من الفرض القائل: إنّ النصوص في الأساس يمكن تحديدها بأنها تكوين بسيط من الجمل تنشأ بينها علاقات تماسك))[٩].

يرى فان ديك أن ((الترابط علاقة بين الجمل، ولّما كانت هذه العلاقة تركيبية، والربط مفهومًا دلاليًّا اعتبر فان ديك الربط علاقة دلالية بين القضايا، وبهذا تجاوز مفهوم الربط التركيبي إلى مفهوم أكثر شمولية يتجلى في الترابط الدلالي بين قضايا... ضمن متوالية ما من الجمل))[١٠]، وهذا يعني أن الترابط الدلالي ناشئ عن السبك أو الربط التركيبي ضمن بنية أكبر داخل النص تحكمها علاقات دلالية منطقية؛ لأن وجود الربط التركيبي لا يؤدي ضرورة إلى وجود علاقة دلالية ضمن إطار منطقي، فمثلا جملة (حَمَلَ زيدٌ الفيلَ) صحيحة من حيث التركيب، لكنها غير صالحة في معناها المطابقي. ولكي يكون النص متماسكًا ومتّسقًا لا بدّ من مجموعة من العلاقات الدلالية المنطقية، أهمها ((البنية الكبرى، وتليها علاقات الارتباط السببي، الانسجام بين الإجابة والسؤال، البيان، التفصيل، التقابل العكسي، والتقابل الكمي))[١١].

وإذا كان النص ((يتألف من عدد من العناصر التي تقيم بينها شبكة من العلاقات الداخلية التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتسهم الروابط التركيبية والروابط الزمنية والروابط الإحالية في تحقيقها))[١٢]، فإننا يمكن أن نحدّ **الترابط الدلالي** بأنه:

مستوى مفهومي للنص ناشئ عن الربط التركيبي وتظافر علاقات داخلية تعمل على ايجاد نوع من التماسك والانسجام بين عناصره.

لقد رصد عدد من العلماء والباحثين - قديما وحديثا - التناسب والانسجام بين آيات القرآن الكريم، ولاحظوا أن هناك ترابطا ووحدة بين آياته وسوره، فذكر الشاطبي (ت٧٩٠هـ) مثلا ((أن الكلام المنظور فيه، تارة يكون واحدا بكل اعتبار، بمعنى: أنه أنزل في قضية واحدة، طالت أو قصرت، وعليه أكثر سور المفصل، وتارة يكون متعددا في الاعتبار، بمعنى أنه أنزل في قضايا متعددة، كسورة البقرة، وآل عمران... وجميع ذلك لابد فيه من النظر في أول الكلام وآخره بحسب تلك الاعتبارات... فسورة البقرة مثلا كلام واحد

باعتبار النظم، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها))[١٣]، وعلى هذا جاء كتاب (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) لإبراهيم بن علي البقاعي (ت٨٨٥هـ)، ومن قبلهما رسم الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ) حدود تفسيره (مجمع البيان) بأن جعل النظم أحد مستويات تفسيره للآيات والسور[١٤]، فنراه مثلا يرصد اتساق النظم بين آيات سورة الفاتحة[١٥]، ويذكر في افتتاح سورة (آل عمران): ((انَّ الله تعالى لما ختم سورة البقرة بذكر التوحيد والإيمان، افتتح هذه السورة بالتوحيد والإيمان أيضا))[١٦]. ويكرر هذا المستوى من الترابط بين السور عند افتتاح تفسيره لباقي سور القرآن الكريم.

ولعلّ الأمر أكثر وضوحا عند المحدثين، ومثالا على ذلك يرى السيد محمد باقر الحكيم أنّ ((تسمية الكلام الإلهي بـ(الكتاب) إشارة إلى الترابط بين مضامينه ووحدتها في الهدف والاتجاه، بالنحو الذي يجعل منها كتاباً واحداً))[١٧].

وقد أطلق المفسرون والمؤلفون في علوم القرآن مصطلح التناسب، أو علم المناسبة على الترابط بين آيات القرآن وسوره[١٨]، وسمّاه الفراهي بـ(النظام) وبيَّنه بأن ((تكون السورة وحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة... وعلى هذا الأصل ترى القرآن كله كلاماً واحداً ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر))[١٩].

وبناء على ما تقدم جاء ت محاولتي في هذا البحث للكشف عن (الترابط الدلالي بين بدايات السور والقصص القرآني فيها).

المبحث الأول

سورة الشعراء

تفتتح سورة الشعراء بتسع آيات تجري على النحو الآتي:

﴿طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَانِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٦) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٩)﴾[٢٠].

وهو افتتاح فيه تهديد للمشركين بسبب إعراضهم عن دعوة النبي ﷺ لهم، ووعيد لهم بأن ينالهم ما ينال الأمم التي كذبت رسلها إن أصرّوا على عنادهم، وتهوين من أمرهم تسلية للنبيّ ﷺ الذي ملأ نفسه الغمّ لإعراضهم عن دعوته، على الرغم من شواهد الربوبية البيّنة أمامهم، والتي لا يكلفهم الاستدلال بها على وجود الخالق إلا تدبر يسير في الأرض وما انبتت من ((كلّ زوج كريم))، وقد استعمل القرآن في تصوير حال النبيّ ﷺ معهم التركيب ((لعلّك باخع نفسك))، وما في لفظة (باخع) من الدلالة على الغمّ الشديد[٢١]. ويتضح ذلك بترتيب أصواتها من الشفوية إلى الحلقية وكأنها تشير إلى كتم الغم في النفس.

ويظهر الجو النفسي في مفتتح السورة شديداً قاسيًّا يخيّم عليه الإنذار، على الرغم من ختام المقطع بـ(الرحيم)، إلا أنها رحمة العزيز الذي لا يغلب، ولعلّها جاءت لتسلية النبي ﷺ. ويمثل هذا الجو في مفتتح السورة بنية كبرى تبدو بؤرته في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، إذ تنتظم على وفقه القصص القرآني فيها، والتي تترتب على النحو الآتي:

١- قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه الآيات ١٠-٦٦.

٢- قصة إبراهيم عليه السلام ٦٩-١٠٢.

٣- قصة نوح عليه السلام ١٠٥-١٢٠.

٤- قصة هود عليه السلام مع عاد ١٢٣-١٣٩.

٥- قصة صالح عليه السلام مع ثمود ١٤١-١٥٨.

٦- قصة لوط عليه السلام مع قومه ١٦٠-١٧٣.

٧- قصة شعيب مع أصحاب الأيكة ١٧٦-١٨٩.

وجميع هذه القصص تختم بعذاب الأقوام المعاندين وهلاكهم بعد تكذيبهم رسلهم، وهي وسيلة من وسائل الانسجام النصي في إطار البنية الكبرى التي افتتحت بها السورة، وتختتم هذه القصص جميعا بتكرار الآيتين الكريمتين ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾، إذ تكررت هذه الآية ثماني مرات، فقد ذكرت في نهاية افتتاح

السورة، ثمّ تكررت في ختام القصص السبع؛ لتركيز الدلالة ضمن البنية الكبرى للسورة، وهذا التكرار مظهر من مظاهر الاتساق في النص ضمن الترابط الدلالي.

ويظهر من عدد الآيات في كل قصة أن قصة نبي الله موسى عليه السلام مع قومه هي أطول القصص؛ إذ تمتد في سبع وخمسين آية؛ ولعلّ ذلك راجع إلى أنّ فرعون وقومه كانوا أكثر الأقوام عناداً مع كثرة الآيات البيّنات التي جاءهم بها موسى عليه السلام، وتتضح فيها معالم الارتباط مع بداية السورة جلية.

تبدأ القصة بالأداة (إذ) الظرفية، وهي من مظاهر الربط بين القضايا في الانسجام النصي، وتأتي الجملة المضافة إليها بأمر موسى عليه السلام أن يذهب إلى القوم الظالمين، وينطلق بعدها حوار بين موسى وربّه تظهر فيه توجسات موسى عليه السلام وخوفه من ظلم فرعون وقومه وعتوهم، وخشيته من أن يقتلوه، وطلبه أن يرسل معه هارون عليه السلام، ويختم الحوار بين موسى وربه بقوله تعالى: ﴿فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾[٢٢]، ويأتي الحوار ليكشف عن الربط مع مفتتح السور بتسلية النبي محمد صلى الله عليه وآله، ببيان حال موسى عليه السلام وخشيته من فرعون وقومه بسبب معرفته بعنادهم وعتوّهم وظلمهم من جهة ودعم الله له بعدم تركه وحيداً مع فرعون وقومه الظالمين.

وفي القصة حوارية أخرى بين فرعون ونبيّ الله موسى عليه السلام تجري على النحو الآتي: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٨) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٢٩) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (٣٠) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣١) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣٢) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾[٢٣].

وتعدّ (علاقة السؤال والجواب) من وسائل انسجام النص[٢٤]، ويتضح من تسلسل الجمل في هذه الحوارية من دون روابط العطف شدّة الموقف وعناد فرعون وتمرّده على آيات ربّه، على الرغم من إنها (شيء مبين)، و(ثعبان مبين)، ولعلّ ذلك ما حدا بفرعون إلى

الاستعانة بقومه لتكذيب موسى وهارون عليهما السلام ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٥) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٦) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[٢٥]، ويبدو من استعمال صيغة المبالغة مع صفتها(سحّار عليم)، قلقهم من وضوح الآيات الدالّة على صدق دعوى موسى عليه السلام، وهي بعدُ كاشفة عن شدّة عنادهم وتمسّكهم بباطلهم، وكلّ ذلك يجري في إطار البنية الكبرى في تسلية النبي محمد صلى الله عليه وآله عن غمّه بعدم إيمان قومه.

وتمضي القصة في انتقالات سريعة بعد إيمان السحرة بالله - سبحانه- إلى الإيحاء لموسى عليه السلام بأن يخرج ببني إسرائيل من مصر، طاوية أحداثا كثيرة قبل ذلك كشفت عنها إيراد القصة في سور أُخر[٢٦]، لتنتهي بإغراق فرعون وقومه[٢٧]، وجاء ذلك انسجاماً مع الغرض الذي ذكرت من أجله القصة، وربطًا لها مع مفتتح السورة.

وتظهر في القصة عوامل ربط داخلية بين بداية القصة ونهايتها، تتضح في الآيتين الكريمتين ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ و﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، وهي إحالة قبلية تعدّ من مظاهر اتساق النص[٢٨].

أمّا القصة الثانية في هذه السورة فهي قصة نبيّ الله إبراهيم عليه السلام، وهي تمتد في أربع وثلاثين آية[٢٩]، وتتصل بالقصة التي سبقتها إن طريق (الوصل الإضافي) الذي هو وسيلة من الوسائل التي يرتبط بها اللاحق مع السبق داخل النص بشكل منتظم[٣٠]، ويتمثل هذا الوصل بحرف العطف الواو ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾، بيد أن هذه القصة تسير بخلاف الأسلوب الذي سارت عليه القصة السابقة أو القصص الأخرى لبقية الأنبياء عليهم السلام، إذ تظهر معالمها هادئة على الرغم من وجود العناد من قوم الخليل إبراهيم عليه السلام، وإصرارهم على عبادة ما كان يعبد آباؤهم، إلّا أنّ القصة اختزلت كل مظاهر عدائهم لإبراهيم عليه السلام ومحاولة إحراقهم إياه، ولعلّ مرد ذلك إلى مكانة الخليل بوصفه ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾[٣١]، أو ما جرى على لسانه من كلام ودعاء يكون تسلية لقلب النبي محمد صلى الله عليه وآله ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ

يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾[٣٢].

وعلى الرغم من أن نبي الله إبراهيم فارق قومه ولم يروَ شيء عن إهلاك الله لهم كما فعل بأمم الرسل الآخرين الذين كذبوا أنبياءهم، إلا أنّ القصة ختمت - تماشيًا مع بقية القصص في هذه السورة- بذكر عذاب قومه، وقد جرى ذلك بانتقالة سريعة إلى ما سيجري عليهم يوم القيامة[٣٣]؛ لتنسجم القصة مع بقية القصص التي ختمت بذكر عذاب الأقوام الذين كذَبوا رسلهم، عبر انضوائها تحت البنية الكبرى للسورة.

أما القصة الثالثة فهي قصة نبي الله نوح عليه السلام مع قومه، وتفتتح بالآية الكريمة ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾[٣٤]، وتليها بقية القصص بالافتتاح نفسه مع ابدال اسم نوح بأسماء الأنبياء المرسلين إلى أقوامهم، سوى أن قصة شعيب عليه السلام مع أصحاب الأيكة تختلف قليلا، فلم يوصف شعيب عليه السلام بأنه أخوهم كونه لا ينتسب إليهم[٣٥].

وفي تكرار بداية القصص بالافتتاح نفسه ترابط نصي باتساق في تركيبها، وانسجام في دلالتها، ويبدو عمق هذا الانسجام بما يصطلح عليه بـ(موضوع الخطاب)[٣٦]؛ إذ يتضح من استعمال الجمع (المرسلين) في تكذيب الأقوام لأنبيائهم مع أن المكذب نبيّ واحد في كل قصة اتحاد (موضوع الخطاب)، فتتكرر تبعا لذلك دعوتهم لأقوامهم (ألا تتقون). وتختتم كل القصص بإهلاك الأقوام المكذبين لأنبيائهم، لتنضوي القصص جميعا تحت (البنية الكبرى) للسورة المباركة التي ذكرت في افتتاحها من التهديد والوعيد والإنذار.

ومستخلص القول: إن الترابط الدلالي بين بداية سورة الشعراء والقصص القرآني الواردة فيها يتضح بالإحالة، والوصل، والتكرار التي هي من مظاهر الاتساق النصي، ويبدو أيضا بالربط بين القضايا، وموضوع الخطاب، والبنية الكبرى التي هي من وسائل الانسجام في النص.

المبحث الثاني

سورة النمل

هناك رابط عضوي بين مقدمة السورة وبين الموضوعات الأخرى، هو الذي يكسب عمارة السورة القرآنية الكريمة جماليةً مدهشة بالنحو الذي سنعرض له خلال هذه الدراسة.

محتوى سورة النمل هذه السورة التي نزلت بمكة بعد سورة الشعراء - بصورة عامة - كمحتوى سائر السور المكية، فأكثر اهتمامها - من الوجهة الاعتقادية - ينصب على المبدأ والمعاد، تتحدث عن الوحي والقرآن وآيات الله في عالم الإيجاد والخلق، وكيفية المعاد والقيامة ؟ وأما من ناحية المسائل العملية والأخلاقية، فالقسم الكبير منها يتحدث عن خمسة أنبياء كرام ومواجهاتهم لأممهم المنحرفة في أربع قصص، لتكون هذه السورة تسلية للمؤمنين القلة بمكة في ذلك اليوم، وفي الوقت ذاته تكون إنذارا للمشركين المعاندين الظالمين ليروا عواقب أمرهم في صفحات تاريخ الظلمة الماضين، فلعلهم يحذرون ويرجعون إلى الرشد.

تبدأ هذه السورة بالبشرى وتنتهي بالتهديد، فالبشرى للمؤمنين، والتهديد للذين لا يؤمنون بأن الله غير غافل عن أعمالكم ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٥) وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾(٣٧).

وهنا هدى وبشرى للمؤمنين فإن ذلك ناشئ من أنه إذا لم يكن في قلب الإنسان أدنى مرحلة من التقوى والتسليم والإيمان بالواقع، فإنه لا يتجه نحو الحق، ولا يبحث عنه، ولا يفيد من نور هذا الكتاب المبين؛ لأن قابلية المحل شرط أيضا. ثم بعد ذلك فإن الهدى والبشرى مقترنين معا، وهما للمؤمنين فحسب، وليس للآخرين مثل هذه المزية.

يجري الكلام في هذه السورة - كما أشرنا من قبل - عن قصص أربعة أنبياء عظام، وذكر أممهم، والوعد بانتصار المؤمنين وعقاب الكافرين، على النحو الآتي:

١- قصة موسى عليه السلام ٧-١٤.

٢- قصة داود وسليمان عليهما السلام ١٥-٤٤.

٣- قصة صالح عليه السلام ٤٥-٥٣.

٤- قصة لوط ٥٤-٥٨.

فأول نبي تتحدث عنه هذه السورة، هو موسى عليه السلام أحد الأنبياء " أولي العزم " وتبدأ مباشرة بأهم نقطة من حياته وأكثرها " حساسية " وهي لحظة نزول الوحي على قلبه وإشراقه فيه، وهو ما يتناسب تماما مع مقدمة السورة التي بدأت بالهدى والبشارة ، وتكليم الله إياه إذ تقول الآيات: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨) يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣٨].

تبدأ القصة هنا بالأداة (إذ) على نحو ما بدأت به قصة موسى في سورة الشعراء، وهي من وسائل الربط النصي، ويبدو خطاب الله لموسى عليه السلام ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ منسجما مع البنية الكبرى للسورة، فهنا مقام القرب، وحرم أمن الله القادر المتعال. وهنا لا معنى للخوف والوحشة.

وتختزل السورة القصة على النحو الآتي: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٣) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾[٣٩]، فلا تفصيل، ولا بيان لعنادهم وعتوّهم، ولا ذكر لعذابهم وإهلاكهم، بل مرّ كل ذلك سريعا بطريقة الإشارة لا المباشرة لأن جو الآية جو(هدى وبشرى) من الله تعالى، وهكذا فإن القرآن يذكر عاقبة فرعون وقومه على أنه درس من دروس العبرة، في جملة موجزة ذات معنى كبير، مشيرا إلى هلاكهم وغرقهم فيقول: فانظر كيف كان عاقبة المفسدين، منسجما تماما مع بداية السورة التي بدأها بكل تلك التعابير الموحية والدالة على القدرة الإلهية مع الاستيعاب لمختلف أنماط البشر وتوجيههم نحو الإيمان والتصديق.

وهذا يؤكد ما مرّ بنا في تعليل التفصيل في القصة نفسها في سورة الشعراء من أن فرعون وقومه كانوا أكثر الأمم عناداً وطغياناً. وهنا يظهر الانسجام من خلال سياق الموقف، فالمجال الذي تسير فيه القصة هو البنية الكبرى الذي افتتحت به السورة. ويرتبط بذلك الآيات التسع التي أرسل بها موسى إلى فرعون وقومه، فإن فيها دلالة على الإمهال، وعدم الأخذ السريع بالعقوبة، وهي من مظاهر الرحمة والهدى. ولا يظهر في القصة ذكر لـ(هارون) عليه السلام على نحو جاء في سورة الشعراء؛ لاختلاف الغرض في السورتين، فالعناد والتكذيب من فرعون وقومه في سورة الشعراء استوجب ذكر هارون عليه السلام، إمّا الهدى والرحمة في سورة النمل فلا يستدعي ذلك.

وتماشيا مع البداية المطمئنة للسورة جاءت قصة النبيين (داود وسليمان) بعد قصة موسى (عليه السلام)، لأنهما كانا من أنبياء بني إسرائيل أيضا، وما نجده من اختلاف بين تأريخهما وتاريخ الأنبياء الآخرين، هو أنهما - ونتيجة للاستعداد الفكري وملائمة المحيط الاجتماعي في عهدهما - قد وفقا إلى تأسيس حكومة عظيمة، وأن ينشرا بالاستعانة والإفادة من حكومتهما دين الله؛ لذلك لا نجد هنا أثرا أو خبرا عما عهدناه من أسلوب في تلك الآيات التي كانت تتكلم عن الأنبياء الآخرين، وهم يواجهون قومهم المعاندين بمختلف أساليب المواجهة العنيفة والنهاية المروعة وهو ما يتناسب مع بداية السورة الموسومة بالهدى والبشارة والرحمة، فالتعابير هنا تختلف عن تلكم التعابير تماما.

وتستمر القصة في بيان حال نبي الله سليمان عليه السلام، وتمتد في ثلاثين آية، وهي أطول قصة في سورة النمل، وقد جاءت على هذا الامتداد؛ لأنها تحقق الغرض من السورة بالهداية والبشرى، فتفاصيلها تبدأ بالعلم ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[٤٠]، ثمّ بجيش سليمان العظيم الذي لم يؤتَ أحدٌ مثله ومروره بواد النمل، وحديث النملة التي أضحكت سليمان عليه السلام، ثمّ بالمراسلة بينه وبين الملكة ﴿أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾، وانتهاء بإيمانها بالله مع سليمان عليه السلام، وتركها ما كان يعبد آباؤها وقومها، وتختم القصة بقوله تعالى على لسان الملكة: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤١]،

وفي كلّ هذه التفاصيل ارتباط بموضوع الخطاب وبنيته الكبرى التي افتتحت بها السورة؛ إذ تتضح في تضاعيف القصة آثار رحمة الله وهدايته لمن يشاء.

إن بداية السورة التي تذكر البشارة في أول ما تذكر وهذا القصص القرآني ونهايته الهادئة المثالية مناسب لنزول هذه الآيات في مكة حيث كان المسلمون تحت نير العدو، وكانت الأبواب موصدة بوجوههم، هذا النزول كان له مفهومه الخاص. وهو تقوية معنويات المسلمين وتسلية قلوبهم، وإحياء أملهم بلطف الله ورحمته والانتصارات المقبلة. وهوما يمثل ارتباطا دلاليًا ضمن (سياق الموقف)(٤٢).

أما إذا انتقلنا إلى قصة النبي صالح عليه السلام وقومه فنراها تبدأ على النحو الآتي: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٥) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٤٣).

فلا حديث عن الناقة، وشربها، وعقرها، واستكبار قومه وعنادهم وما استتبع ذلك من عذابهم على نحو ما جاء في سورة الشعراء(٤٤)، بل الأمر يسير على نحو من اللين، حتى اختصام قومه في دعوته جاء مفاجئًا، مستعملا (إذا) الفجائية، والتي هي من الروابط التي تؤدي إلى انسجام النص، ويأتي بعدها حديث صالح عليه السلام مع قومه يملؤه اللين والرحمة، والعتب الرقيق (لم تستعجلون)، ويتبعه الحض على الاستغفار (لولا تستغفرون).

أمّا حديث إهلاك قوم صالح المكذبين فجاء على هذا النحو: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٤٥)، ونلحظ فيه الاختزال، وغض الطرف عن ذكر نوع العذاب، ويأتي ختام القصة بما ينسجم مع مفتتح السورة من الهدى والبشرى ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾(٤٦).

وتأتي قصة نبي الله لوط عليه السلام على نحوٍ من الاختصار الذي رأيناه في قصة صالح عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٤) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ

أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥)﴾ (٤٦).

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٢) وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٤) وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٣٥) وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣) خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٤٤) اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ (٤٥) وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٦) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧) وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩) وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٥٠) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥١) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤) يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥) يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٨) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٥٩) وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦٠) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٦١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣) وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٦) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (٦٨) وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾ (٤٧).

ونلحظ في ختامها نجاة لوط وأهله إلا امرأته، وعذاب قومه بما أمطروا به، وهذا الاختزال والاختصار في قصة النبيين صالح ولوط متوائم مع افتتاح السورة؛ إذ لم يعرف عن قومهما سوى العناد والإصرار على الفعل القبيح، وهذا ما لا يتوائم مع غرض السورة وافتتاحها بالهدى والبشرى.

ومستخلص القول: إنّ القصص القرآني في سورة النمل جاءت متوافقة مع البنية الكبرى للسورة، والذي ذكر في افتتاحها، وهو ما يدلل على وجود ترابط دلالي بين افتتاح السور والقصص القرآني فيها.

الخاتمة:

بعد استعراضنا لسورتي الشعراء والنمل وآليات التحليل فيها نخلص إلى جني الثمار الآتية:

١- ظهر جليّا الترابط الدلالي بي افتتاح السورة والقصص القرآني في سورتي الشعراء والنمل، وهما بذلك يعدّان مثالا للسور الأُخر.

٢- كانت أطول القصص في سورة الشعراء هي قصة موسى عليه السلام؛ لارتباطها الوثيق بمفتتح السورة، والبنية الكبرى فيها، والذي يؤطر بالتهديد والوعيد للمعاندين.

٣- كانت أطول القصص في سورة النمل هي قصة نبي الله سليمان؛ لما فيها من الانسجام مع (الهدى والبشرى) الذي افتتحت به السورة.

٤- كانت وسائل اتساق النص، ومظاهر انسجامه متمثلة بعدة وسائل، منها: الإحالة، والوصل، والتكرار اتساقًا، والربط بين القضايا، وموضوع الحطاب، والبنية الكبرى انسجامًا.

هوامش البحث

(١) ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة (ربط).
(٢) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مادة (ربط) ٩٩/٢.
(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ربط).
(٤) ينظر: جواهر القاموس في الجموع والمصادر، محمد بن شفيع القزويني، تح: محمد جعفر الكرباسي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف ١٩٨٢، ٣١٨-٣١٩.
(٥) القاموس المحيط، مادة (دلّ)، وينظر: المثلث، ابن السيد البطليوسي، تح: د. صلاح الفرطوسي، باب المثلث المتفق المعاني ٤/٢.
(٦) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (دل).
(٧) ينظر: الترابط الدلالي في لسانيات النص تصور تون أ. فان ديك نوذجا، أ. مولاي مروان العلوي، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الثاني، نوفمبر ٢٠١٧، ١٩٥.
(٨) ينظر: لسانيات النص القرآني دراسة تطبيقية في الترابط النصي، د.عبد الله خضر حمد، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ٥٤.
(٩) مدخل إلى علم النص، فولفجانج هاينة مان، وديتر فيهفجر، تر: سعيد حسن بحيري، ط٢، زهراء الشرق، القاهرة ٢٠٠٤م، ٢١.
(١٠) الترابط الدلالي في لسانيات الخطاب ١٩٥.
(١١) تقنيات السرد والترابط النصي الدلالي في رواية (جدائل صعدة)، د. همدان زيد دماج، مركز الدراسات والبحوث اليمني/ موقع شخصي على الانترنت.
(١٢) دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعد حسن بحيري، مكتبة الآداب، مصر - القاهرة، ط١ ٧٨، ٢٠٠٥.
(١٣) الموافقات، ابو اسحاق الشاطبي(ت ٧٩٠هـ)، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ٢٦٦/٤.
(١٤) تفسير مجمع البيان، ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تح: لجنة من العلماء (ت ٥٤٨هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥ه-١٩٩٥م،٣٥/١.
(١٥) المصدر نفسه ٧٢/١-٧٣.
(١٦) المصدر نفسه ٢٣٥/٢.
(١٧) علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، ط١، نشر مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي، النجف الأشرف ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م، ٢٠.
(١٨) ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٣٦/١، ونظم الدرر، البقاعي ٦/١.
(١٩) دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي الهندي (ت ١٣٤٩هـ)، المطبعة الحميدية، ط١ ١٣٨٨هـ، ٧٥.
(٢٠) سورة الشعراء ١-٩.
(٢١) القاموس المحيط، مادة (بخع).

(٢٢) سورة الشعراء ١٥.
(٢٣) سورة الشعراء ٢٣-٣٣.
(٢٤) علم لغة النص - النظرية والتطبيق، المقامات اللزومية للسرقسطي، عزة شبل محمد، مكتبة الآداب، دط، مصر ١٩٩٩م، ٢٠١.
(٢٥) سورة الشعراء ٣٤-٣٧.
(٢٦) ينظر مثلا: سورة الأعراف ١٢٧-١٣٦.
(٢٧) سورة الشعراء ٥٢-٦٦.
(٢٨) نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت - لبنان، ١٩٩٣م، ١١٨-١١٩.
(٢٩) ينظر: سورة الشعراء ٦٩-١٠٢.
(٣٠) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط٢، الدار البيضاء - المغرب، ٢٠٠٦م، ٢٣.
(٣١) سورة النحل ١٢٠.
(٣٢) سورة الشعراء ٧٥-٨٩.
(٣٣) سورة الشعراء ٩١-١٠٢.
(٣٤) سورة الشعراء ١٠٥-١٠٦.
(٣٥) ينظر: مجمع البيان، أبو الفضل الطبرسي ٣١٧/٧، والبحر المحيط في التفسير، ابو حيان الندلسي ١٣٣/٤، وتفسير روح البيان، محمد علي الشوكاني ٣٠٣/٦، والميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي ٣١٢/١٥.
(٣٦) ينظر: علم لغة النص - النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد ١٩١.
(٣٧) سورة النمل ١-٦.
(٣٨) سورة النمل ٧-٩.
(٣٩) سورة النمل ١٢-١٤.
(٤٠) سورة النمل ١٥-١٦.
(٤١) سورة النمل ٤٤.
(٤٢) ينظر: علم لغة النص، النظرية والتطبيق، عزّة شبل محمد ٣.
(٤٣) سورة النمل ٤٥-٤٦.
(٤٤) سورة الشعراء ١٤١- ١٥٨.
(٤٥) سورة النمل ٥٠-٥٢.
(٤٦) سورة النمل ٥٣.
(٤٧) سمرة النمل ٥٤-٥٨.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

١. البحر المحيط في التفسير، ابو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ.

٢. البرهان، ابو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٣. تفسير روح البيان، محمد علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، ط١، دار ابن كثير - دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ١٤١٤هـ.

٤. جواهر القاموس في الجموع والمصادر، محمد بن شفيع القزويني، تح: محمد جعفر الكرباسي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف ١٩٨٢.

٥. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، سعد حسن بحيري، مكتبة الآداب، مصر - القاهرة، ط١ ٢٠٠٥

٦. دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي الهندي (ت ١٣٤٩هـ)، المطبعة الحميدية، ط١ ١٣٨٨هـ.

٧. علم لغة النص - النظرية والتطبيق، المقامات اللزومية للسرقسطي، عزة شبل محمد، مكتبة الآداب، د.ط، مصر ١٩٩٩م.

٨. علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، ط١، نشر مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي، النجف الأشرف ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

٩. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٠. كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تح: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ط٢، مؤسسة دار الهجرة، قم - إيران ١٤٠٩هـ.

١١. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، نشر أدب الحوزة، قم -إيران ١٤٠٥هـ.

١٢. لسانيات النص القرآني دراسة تطبيقية في الترابط النصي، د. عبد الله خضر حمد، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.

١٣. لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، ط٢، الدار البيضاء – المغرب، ٢٠٠٦م.

١٤. المثلث، ابن السيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ)، تح: د. صلاح الفرطوسي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٢م.

١٥. مجمع البيان في تفسير القرآن، ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، تح: لجنة من العلماء (ت٥٤٨هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ط١، ١٤١٥ه-١٩٩٥م.

١٦. مدخل إلى علم النص، فولفجانج هاينة مان، وديتر فيهفجر، تر: سعيد حسن بحيري، ط٢، زهراء الشرق، القاهرة ٢٠٠٤م.

١٧. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مكتب الاعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

١٨. الموافقات، ابو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي(ت ٧٩٠هـ)، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر دار ابن عفان.

١٩. الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، ط٥، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٧هـ.

٢٠. نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصّا، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت – لبنان، ١٩٩٣م.

٢١. نظم الدرر، إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

الدوريات ومواقع الانترنت.

٢٢. الترابط الدلالي في لسانيات النص تصور تون أ. فان ديك نموذجا، أ. مولاي مروان العلوي، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، العدد الثاني، نوفمبر ٢٠١٧.

٢٣. تقنيات السرد والترابط النصي الدلالي في رواية (جدائل صعدة)، د. همدان زيد دماج، مركز الدراسات والبحوث اليمني/ موقع شخصي على الانترنت.